تعليقـــات

على بعض الاشارات الفارسية فى الأشعار العربية

للدكتور طه ندا

فى الاشعار العربية كثير من الاشارات التى تتعلق بتاريخ الفرس أو ادبهم او نظمهم او بيان ما كان لهم من حضارة على وجه عام . وفى هذه المقالة مثال لما فى هذه الاشعار من اشارات .

يقول خالد الفياض : ــ

والملك كسرى شهنشاه تقنصه ... سهم بريش جناح الموت مقطوب

اذا كان لذته شبديز يركبه ... وغنج شيرين والديباج والطيب

بالنار آلى يمينا شد ما غلظت ... ان من بدا فنعى الشبديز مصلوب

حتى اذا أصبح الشبديز منجدلا ... وكان ما مثله فى الخيل مركوب

ناحت عليه من الاوتار أربعة ... بالفارسية نوحا فيه تطريب

ورنم البهلبذ الاوتار فالتهبت ... من سحر راحته اليسرى شآبيب

فقال مات فقالوا انت فهت به ... فاصبح الحنث عنه وهو مجذوب

لولا البهلبذ والاوتار تندبه ... لم يستطع نعى شبديز المرازيب(١)

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٢٥٢ ط ليبزج .

الشهنشاه : الاشارة الاولى فى هذا الشعر هى « الشهنشاه ». والشهنشاه الذى يعنيه الشاعر هو خسرو پرويز او كسرى ابرويز كما يسميه العرب. ولكسرى ابرويز شان يذكر فى حوادث العرب والمسلمين . وقد روى أنه لما سمع ما لبنات النعمان بن المنذر ونساء اسرته من الحسن والجمال أراد ان يصهر اليه وارسل زيد بن عدى يفاتحه فى الامر وهو يظن أن النعمان سيلبى الطلب فخورا بهذا الشرف الذى يمنحه اياه كسرى العظيم . ولكن النعمان خيب ظن كسرى واعتذر لرسوله ، ووجد زيد الفرصة سانحة فأوغر على النعمان صدر الملك الذى بيت له الشر وارجأ التنفيذ حتى لايفطن الى ما أراده به . وبعد زمن ورد الى النعمان كتاب كسرى يدعوه اليه فجمع النعمان أهله وماله وسلاحه وسار حتى نزل عند بنى شيبان فى ذى قار . وكان سيدها هانىء بن مسعود ابن عمرو الشيبانى فأودعه ماجمعه وتوجه الى كسرى الذى طرحه تحت اقدام الفيله فداسته حتى مات (١) . واستعمل بعده على الحيرة اياس بن قبيصة الطائى وكلفه ان يجمع ماخلفه النعمان وان يرسله اليه ، فبعث اياس الى هانىء يأمره أن يقدم اليه ما لديه من ودائع النعمان ، فابى هانىء ، فارسل اليهم كسرى جيشا كثيفا لقيه العرب عند ذى قار . ودارت بين الفريقين المعركة التى انتهت بانهزام العجم والتى تعرف فى تواريخ العرب بيوم ذى قار . واشعار العرب فى ذكر هذه الواقعة والفخر بها كثيرة . وقد ذكر ابن النهى صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا النصر قال « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم وبى نصروا » (٢) .

وكسرى ابرويز هو الذى ينسب اليه اغلب المؤرخين انه بنى ايوان المدائن المعروف . ولما فرغ من بنائه عقد عليه طاقا (٣) . وكان فى هذا الطاق حلقة كبيرة من الذهب يتدلى منها سلسلة من الذهب الاحمر مرصعة باللؤلؤ والجواهر فاذا جلس الملك فى الايوان علق تاجه من هذه السلسلة فيجلس تحت التاج على تخت العاج (٤) . وكان عند كسرى عدد كبير من الكهان والسحرة والمنجمين يجمعهم كلما أحزنه امر لينظروا فى سببه وليجدوا له مخرجا منه . ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم تداعى هذا الطاق فجزع كسرى ودعا كهانه

---

(١) فى رواية اخرى انه حبسه حتى مات .

(٢) ابن الاثير ج ١ ص ١٩٥ .

(٣) الطاق ما عطف من الابنية معرب « تا » وهى الطية او الثنية .

(٤) الشاهنامه قصة بناء خسرو الطاق ج ٩ ص ٢٨٧٧ ؛ ص ٢٨٨٦ ط بروخيم . طهران . والترجمة العربية ص ٢٤٤ ج ٢ .

وسحاره ومنجميه ليبحثوا الامر . وكان بين كهانه رجل من العرب اسمه السائب فبات ليلة ظلماء على ربوة من الارض فراى برقا قد ومض فى الحجاز واستطار حتى بلغ المشرق فادرك أن امرا خطيرا قد حدث هناك . ولما خلا الكهان بعضهم الى بعض وحدثهم السائب بما راى قالوا « انه لنبى بعث او هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره » (١) . واتفقوا فيما بينهم أن يكتموا الامر عن كسرى خوفا على حياتهم ، ونصحوه أن يعيد بناء الطاق ففعل ولم يكد يدخل البناء ويجلس مع أساورته حتى انتقض من جديد وكاد يهلك ، وعاود البناء مرة ثالثة فعاد البناء الى الانتقاض . وكان ذلك نذيرا بزوال ملكه . وهذا الايوان هو الذى قال عنه البحترى : ـ

وكان الايوان من عجب الصنعة جوب فى جنب ارعن جلس
....
عكست حظه الليالى وبات المشترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدى تجلدا وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسى
....
ليس يدرى اصنع انس لجن سكنوه أم صنع جن لانس (٢)

وكسرى هذا هو الذى جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة السابعة والثلاثين من ملكه (٣) يدعوه الى الاسلام فعجب من جراة محمد « كيف يقدم اسمه على اسمى فى كتابه (٤) » ومزق الكتاب فدعا عليه النبى مزق الله ملكه كما مزق كتابى . ويقول حمد الله المستوفى انه بسبب هذا الدعاء عليه اضطرب ملكه بعد ذلك وخرج عليه ابنه شيرويه وقتله (٥) .

وكان كسرى يحيا حياة غاية فى الترف ويكفى ان ننقل هنا ماورد عنه فى الشاهنامه « كان من عادته اذا ركب أن يقاد له ثلاثمائة جنيبة بعدة الذهب ويسعى بين يديه الف وستة وستون راجلا بايديهم المزاريق ، والف واربعون بايديهم السيوف والعصى ويخرج معه سبعمائة من البازدارية (٦) ، وثلاثمائة

---

(١) ابن الاثير ج ١ ص ١٩٥ .
(٢) ديوان البحترى ج ١ ص ١٦٩ ط الادبية بيروت ١٩١١ .
(٣) مدة حكمه ثمان وثلاثون سنة .
(٤) فارس نامه ص ١٠٦ ط ليسترانج ونيكلسون .
(٥) تاريخ كزيدة ص ١٢١ طـ براون .
(٦) حملة صقور الصيد .

من الفهادين وسبعون اسدا ونمرا معلمة مجللة بالديباج مشدودة الافواه بسلاسل الذهب ، ويستصحب الف عواد على رؤوسهم اكاليل الذهب ومائتى غلام على يد كل واحد منهم مجمر يوقد فيه العود والعنبر فى الموكب ومائتى نفس من الشبان معهم الترجس والزعفران يتقدمون الموكب حتى ترد الريح ريحها الى مشام الملك وقدام هؤلاء مائة سقاء معهم قرب الماء يرشون الطريق حتى لو هب هواء لم يحمل غبارا من الارض فيمسه به » (١) . وحديث ترفه طويل نكتفى منه بما سبق وبما يأتى من شرح الاشارات الواردة فى النص العربى .

شبديز : والاشارة الثانية فى هذا النص هى شبديز . وكان شبديز هذا فرسا تام الخلقة بديع التكوين كامل التدريب والاعداد ، فكان لما اجتمع فيه من الصفات النادرة احب دواب كسرى الى نفسه . وحدث أن اعتل شبديز والحت عليه العلة . وعرف ابرويز مايعانيه فرسه المحبوب من اشتداد المرض ودنو الاجل فاقسم ليقتلن من ينعاه اليه . فلما نفق شبديز خاف صاحب خيله ان يسأله ابرويز عنه فيخبره بنفوقه فيكون فى هذا هلاكه . ولجأ الى بريد مغنى الملك واخبره بموت شبديز . واغراه بالطائل من الاموال حتى يحتال له حيلة تنقذه من موقفه وتحفظ عليه حياته . ولم يجد المغنى — وكان كذلك شاعرا — خيرا من ان ينظم الخبر ويدسه فى بعض اغانيه التى يغنيها امام الملك . وقد استطاع بريد ببراعته فى النظم والغناء أن ينهى الى الملك خبر نفوق شبديز فى اسلوب غير مباشر وعبارة غير صريحة . فلما سمع الملك الاغنية فهم ان شبديز قد مات فصاح « مات شبديز ! » فقال بريد على الفور « لم اقلها يامولاى . انت قلتها » فقال الملك « زه ما احسن ما لجأت اليه فخلصت نفسك وخلصت غيرك » وجزع على فرسه جزعا عظيما واراد ان يخلد ذكراه فأمر قطوس بن سنمار (٢) الذى نحت له تمثالا فى الصخر (٣) بلغ من دقة الصناعة وروعة التصوير مبلغا عظيما بحيث لم يكن يفرقه عن الاصل سوى الروح ، وصور بجانبه شيرين محبوبة الملك كما صور الملك وقد ركب فرسه . وحين شاهد الملك التمثال اذهلته دقة صناعته فخشع امامه واستعبر وذكر حال الدنيا ومصير الاحياء .

---

(١) الشاهنامة ج ٩ ص ٢٨٩١ ط بروخيم بطهران والترجمة العربية ص ٢٢٦ وراجع ايضا تاريخ كزيدة ص ١٢١ .

(٢) سنمار هذا هو الذى بنى الخورنق .

(٣) فى جبل بيستون بين حلوان وقرميسين .

شيرين : والاشارة الثالثة هى « شيرين » (١) . وكانت شيرين محبوبة كسرى ابرويز . وقد اختلف فى اصلها فالشاهنامه تعتبرها فارسية . وحمد الله المستوفى يعتبرها ارمنية ويذكر أن ابرويز حين ذهب الى بلاد الارمن عشقها وكانت ابنة ملكهم (٢) . ومنهم من يقول انها كانت رومية ، وان شيرين قد حرفت عن « ايرينى » أو « سيرا » (٣) .

وكان كسرى قد أمر فاعدوا له حديقة عظيمة قضوا فى اعدادها سبع سنين وجمعوا فيها من كل اصناف الطير . ولما فرغوا من اعدادها احتفل ابرويز بافتتاحها (٤) ؛ وشرب وسكر ، وقال لمحبوبته شيرين فى نشوة سكره سلينى حاجتك . فطلبت منه أن يكون لها فى هذا البستان العظيم نهران من حجارة يجرى فيهما الخمر واللبن . فوعدها بذلك ؛ ولكنه لما افاق نسى وعده ؛ وخجلت شيرين أن تذكره به فلجأت الى مغنيه بربد الذى هيأ أغنية ذكر الملك فيها بما نسيه . وقد وفى الملك بوعده وبنى النهرين (٥) .

وفى ابرويز وشبديز يقول ابو عمران الكسروى : —

وهم نقروا شبديز فى الصخر عبرة	وراكبه برويز كالبدر طالع
عليه بهاء الملك وانوفد عكف	يخال به فجر من الافق ساطع
تلاحظه شيرين واللحظ فاتن	وتعطو بكف حسنتها الاشاجع
يدوم على كر الجديدين شخصه	ويلقى قوم الجسم واللون ناصع (٦)

ويروى أن بعض الملوك مر هناك فراقه المكان واعجبه التمثال فطلب الخلوق والزعفران فخلق وجه شبديز وشيرين والملك فقال بعض الشعراء : —

كاد شبديز ان يحمحم لما خلق الوجه منه بالزعفران

---

(١) الشاهنامه قصة خسرو برويز وشيرين ج ٩ ص ٢٨٦٨ ط بروخيم . طهران .
(٢) تاريخ گزيده ص ٤٢٠ ط براون .
(٣) تعليقات عزام على الترجمة العربية ج ٢ ص ٢٣٦ .
(٤) فى المكان المعروف بقصر شيرين .
(٥) مختصر البلدان لابن الفقيه ص ١٥٨ ط ليدن .
(٦) معجم البلدان ج ٣ ص ٢٥٣ ط ليبزج .

وكان الهمام كسرى وشيرين مع الشيخ موبذ الموبذان (١)

من خلوق قد ضمخوهم جميعا أصبحوا فى مطارف الارجوان (٢)

ويقال ان شيرين كان لها عاشق آخر اسمه فرهاد . فلما سمع الملك بأمره كلفه أن يشق طريقا فى جبل بيستون ووعده ان أتم العمل أن يزوجه شيرين . وكان على ثقة أنه لن يقدر . ولكن فرهاد استطاع ان يشق الطريق ولم يظفر رغم هذا بشيرين . وكان مثله مع شيرين مثل المجنون مع ليلى . وفى ذلك يقول الشاعر : ـ

صارت شيرين من نصيب خسرو

وفرهاد يقطع الاحجار عبثا (٣)

البهلبد : اما البهلبد فهو بربد نفسه مغنى كسرى الذى سبقت الاشارة اليه (٤) . ويقال له فى المصادر العربية باربد ، بربد ، بهليذ ، بهليد ، فهربد ، فهربذ . وكان بربد هذا آية زمانه فى الموسيقى والغناء . وكان يقول الشعر أيضا ولكن غلب عليه الغناء والموسيقى . ولم يعتبر عوفى اغانيه من الشعر لانها فى نظره يعوزها الوزن والقافية (٥) . ولو كان عوفى قد قدم لنا مثلا واحدا من اغانى بربد لافادنا فائدة كبيرة ، ويسر لنا سبيل الحكم عليها حكما قد يكون اقل قسوة من حكمه . وعلى العموم فان المؤرخين قد اجمعوا على تقديم بربد وبلوغه الغاية فى فنى الغناء والموسيقى . ويذكر صاحب تاريخ كزيده ان اساتذة الموسيقى كانوا يتخذون آراءه فى هذا الفن حجة ويفترفون من فيض علمه كما يذكر انه قد الف ثلاثمائة وستين اغنية يغنى واحدة منها كل ليلة فى مجلس الملك .

والبهلبد هذا هو الذى يعنيه البحترى فى قصيدته السابقة التى مطلعها « صنت نفسى عما يدنس نفسى » حين يقول : ـ

---

(١) ذكر الموبذ موبذان (وهو كبير رجال الدين)لان خسرو كان قد دعاه وامره ان يزوجه شيرين .

(٢) معجم البلدان ج ٣ ص ٢٥٣ ط ليبزج .

(٣) لعل شيرين نصيب خسرو شد

سنك بيهوده مى كند فرهاد

(٤) الشاهنامه ج ٩ ص ٢٨٨٢ ط بروخيم . طهران .

(٥) لباب الالباب ج ١ ص ٢٣ ط براون .

قد سقاني ولم يصرد ابو الغوث على العسكرين شربة خلس

من مدام تقولها هي نجم اضوا الليل او مجاجة شمس
وتراها اذا اجدت سرورا وارتياحا للشارب المتحسى
اقرغت في الزجاج من كل قلب فهي محبوبة الى كل نفس
وتوهمت أن كسرى ابرويز معاطى والبهلبذ انسى (١)

ومما يذكر ان الفرس في العهود الاسلامية قد ساروا على نمط الساسانيين، فكان كبار الشعراء يجمعون الى فن الشعر البراعة في فن الموسيقى والغناء كالرودكي شاعر السامانيين والفرخي شاعر الغزنيين . وكان بين الرودكي شاعر السامانيين في العهد الاسلامي وبين بربد (بهلبذ) شاعر الساسانيين ومغنيهم فيما قبل الاسلام كثير من اوجه الشبه . فقد كان كل منهما شاعرا ومغنيا وملحنا . وكان كل منهما ينشد الشعر مصحوبا بالغناء والموسيقى ، كما كان كل واحد منهما عالي المكانة عند مليكه ينهى اليه ادق الاخبار في أبرع قالب . وكما استعان رجال كسرى ابرويز ببربد ليخبره في ثنايا اغانيه بموت فرسه الشبديز استعانت حاشية نصر بن احمد السامانى بالرودكي ليفري الامير بالعودة الى بخارى . وكان الامير في ذلك الوقت مقيما في هراه وقد اعجبه ماؤها وهواؤها ؛ وطاب له جوها وثمرها فاطال الاقامة فيها ؛ واجل الرحيل عنها من فصل الى فصل حتى انقضى عليه هناك اربع سنوات فسئم رجال الحاشية والجند ، وحنوا الى ذويهم وديارهم في بخارى عاصمة الملك . وهداهم التفكير الى الاستعانة بالاستاذ الرودكي ، فعرضوا الامر عليه ، ووعدوه بخمسة آلاف دينار ان استطاع ان يصرف هوى الامير عن هراه ، وان يحرك فيه الحنين الى بخارى فيرحل اليها . ويقول النظامي العروضي ان الرودكي كان يعرف مزاج الامير ، وان النثر لا يؤثر فيه ، فاتجه الى النظم ، واعد قصيدة دخل بها على الامير وقت الصبوح ، واتخذ مكانه في مجلسه حتى اذا سمح له بدا يغني في لحن العشاق : ــ

مازال يهب علينا ارج نهر جيحون
وما زال يهب علينا عرف الحبيب (٢)

---

(١) ديوان البحتري ج ١ ص ١٦٩ ط الادبية ببيروت ١٩١١ .
(٢) بوى جوى مولیان آید همی
بوی یار مهربان آید همی

الى ان قال :

ان الامير قمر وبخارى هى السماء
والقمر نحو السماء يتجه
ان الامير سرو وبخارى هى البستان
والسرو يقبل نحو البستان (١)

ويتابع النظامى روايته فيقول : وهنا انفعل الامير ونزل عن عرشه متأثرا ، فركب حصانه ، وقد نسى ان ينتعل من العجلة ، واتجه على الفور الى بخارى ، فحملوا اليه حذاءه حتى بروته على بعد فرسخين ، وهناك لبسه . ولم يعرج على مكان حتى بلغ بخارى (٢) .

وقد اعترف معاصرو الرودكى وبربد لهما بالسبق فيما ماراه من الوان الفن . ولشدة ما بين الاثنين من شبه فى المكانة والظروف قرنهما المجلدى الجرجانى فى قوله : ـ

من متع هذه الدنيا المتنوعة
ماذا بقى لآل ساسان وآل سامان
بقى ثناء الرودكى ومدحه
وبقيت اغانى بربد وقصصه (٣)

(١) ميرماهست وبخارا آسمان
ماه سوى آسمان آيد همى
مير سرواست وبخارا بوستان
سرو سوى بوستان آيد همى

(٢) جهار مقاله ص ٢٩ ط طهران .

(٣) از آن چندان نعيم اين جهانى
كه ماند از آل ساسان وآل سامان
ثناى رودكى ماندست ومدحت
نواى باربد ماندست ودستان